﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصّلت: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

السَّعادة باكتساب الإنسان الصِّفات التي تجعله كاملًا في نفسه، فينتقل إلى تكميل غيره

مراتب السَّعادة نوعان: التّامُّ، وفوق التّامِّ، أمّا الأوَّل؛ فهو ما يكتسبه الإنسان من الصِّفات الفاضلة التي تجعله كاملًا في ذاته، وعندما يتحقَّق هذا ينتقل إلى المرحلة الثّانية التي هي فوق التّامِّ، وهي مرحلة تكملة النّاقصين من الخلق، ورفعهم إلى درجات الكمال، فلمّا كانت الآيات السّابقة تُشير إلى المرتبة الأولى التي تتمثَّل في كمال النَّفس؛ انتقل في هذه الآية إلى المرتبة الثّانية، حيثُ يُكرِّس جهودَه في دعوة الخَلْق إلى الدّين الحقِّ، ليُكملَ بذلك مهمَّة إكمالِ النّاقصين في إيمانهم وحياتهم(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَحْسَنُ﴾: (حسن) أصلٌ واحِدٌ، والحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ، يُقالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ، وامرَأةٌ حَسناءُ، وحُسّانَةٌ(2)، والحَسَنُ: الجَيِّدُ، وضِدُّهُ: القَبيحُ والسَّيِّئُ(3)، والمُحْسِنُ: المُتْقِنُ المُجيدُ لِعَمَلِهِ(4)، والإحسان أن يعطي أكثرَ ممّا عليه، ويأخذ أقلَّ ممّا له، فالإحسان زائدٌ على العدل، فتحرّي العدل واجبٌ، وتحرّي الإحسان ندب وتطوُّع(5)، والمقصودُ بالإحسانِ في الآيةِ: المُعامَلَةُ بالحُسنى مِمَّن لا يلزمُه إلى مَن هو أهلُها(6).

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 562.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 255.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم، والفيروزابادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (حسن).
(5) الرّاغب، المُفردات: (حسن).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 255.

2) ﴿دَعَآ﴾: (دعو) أصلٌ يدلُّ على إمالةِ الشَّيءِ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، ومنه سُمّيت الرَّغبةُ إلى اللّه ﷻ دُعاءً، تقولُ: دعَوتُ فلانًا، دُعاءً ودَعْوَةً، أي: ناديْتُه[1]، والدَّعوةُ: المرَّةُ الواحدةُ من الدُّعاءِ[2]، ويأتي الدُّعاءُ بمعنى الطَّلَبِ والسُّؤالِ، يُقالُ: دعوْتُ اللّه، أدعوه، أي: سألتُه[3]، والدُّعاءُ أيضًا: العبادةُ والضَّراعة[4]، ويُطلَق على الحثِّ إلى الشَّيءِ والتَّرغيبِ فيه، فيُقال: دعا قومَه إلى اتِّباعِه، أي: حَثَّهُم ورَغَّبَهُم[5].

3) ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: (سلم) أصلٌ يدلُّ على الانقيادِ؛ لأنَّهُ يَسلَمُ من الإباءِ والامتِناعِ[6]، والإسلامُ: الاستِسلامُ لأمرِ اللّهِ والانقيادُ لطاعَتِه، وهو دين الأنبياء جميعًا، يُقال: سَلَّمْنا للّهِ رَبِّنا، أي: استَسْلَمْنا له، وأسلَمْنا، ويُقالُ: فُلانٌ مُسلِمٌ، وفيه قَولانِ: أحدهما: هو المُستَسلِمُ لأمر اللّه، والثّاني: هو المُخْلِصُ للّه العبادةَ، مِن قَولهم: سَلَّمَ الشَّيءَ لِفُلانٍ، أي: خَلَّصَهُ، وسَلِمَ لَهُ الشَّيءُ، أي: خَلَصَ لَهُ[7]، والمقصود بالمسلمين في الآية: المُنقادون الخاضعون لدين اللّه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول اللّه سبحانه: ولا أَحَدَ أحسَنُ قَولًا مِمَّن دعا النّاسَ إلى توحيدِ اللّهِ وطاعتِه، وعَمِلَ عَمَلًا صالِحًا بإخلاصٍ للّه، ومُتابَعةٍ لِشَرعِه، وقال: إنَّني من المُستَسلِمينَ للّهِ، المُقِرّينَ بوَحدانيَّتِه، الخاضِعينَ له، المُنقادينَ إليه؛ ليكون قولُهم مطابقًا لفعلهم، حتّى يكونوا قدوةً لغيرهم، وقد نهانا اللّهُ تعالى عن المخالفة بين القول

لا أحـدَ أعظـمُ منزلةً ممَّن دعا غـيرَه إلى طاعة الله

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث: (دعا، دعو).
(2) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث، وابن منظور، لسان العرب: (دعا).
(3) الفيوميّ، المصباح المنير: (دعو).
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/ 3644.
(5) الأمير، التّحبير: 4/ 5.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلم).
(7) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سلم).

والعمل، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصّف: 2 - 3][1]، وينبغي للمُسلم أن يكونَ عزيزًا بدينِه؛ وأن يُعْلِنَ به، وأن يقولَ: إنَّني مِنَ المُسلِمينَ، وألّا يَستحي، إذا قيلَ: إنَّه مسلمٌ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ﴾:

الله تعالى يُزكّي نبيَّه ﷺ ومُتَّبعيه عبرَ القرون

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا﴾ استئنافيَّةٌ تفصل بين الجملتَيْن، فالآية تزكيةٌ للنَّبيِّ ﷺ وللمُؤْتَسين به من أمَّته، ولكلِّ مَنْ دعا إلى الله تعالى؛ تفريعًا عليهم بجامع الاندراج تحتَ الوصف إلى أن يرث اللّهُ الأرضَ ومَنْ عليها، وكذلك المؤمنون الذين يتَّبعونهم في الدَّعوة إلى الحَقِّ وطاعته[2]، وقد جاء هذا التَّعبير؛ ليشملَ الدَّعوة في كلِّ العصور.

الدّاعون إلى التَّوحيد أسمى النّاس قولًا وأعظمُهم عملًا

ويجوز أن تكون الواو عاطفة[3]، فبعد ما ذكر اللّهُ تعالى في الآية السّابقة قولَ المؤمنين: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ جاء ذِكْرُ مَن يدعو إلى هذه السَّبيل؛ ليؤكِّد أنَّ أرفعَ النّاس قولًا، وأعظمَهم شأنًا هو مَن يدعو إلى توحيد الله تعالى، ويعمل الصّالحات، فليس هناك مَن هو أسمى قولًا وأعظمُ عملًا من هذا الدّاعي المُخْلِص، الَّذي يجمع بين الدَّعوة إلى الحقِّ، والعمل الصّالح[4].

ذوو الإيمان الصّادق في أعلى مراتب الكمال قولًا وعملًا

ويجوز في الواو أن تكون لإفادة الحال، فتبيَّن أنَّ هؤلاء الذين نطقوا بالإيمان بالله سبحانه، كانوا في حالٍ من حُسن القول

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 429، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 15، 16، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 360.
(2) ابن عطيّة، المُحَرر الوجيز: 5/ 15.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 561.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 305.

والعمل[1]؛ إذ لا يوجد أرفعُ أو أفضلُ منهم في الأقوال والأفعال، وأنَّهم في أعلى درجات الكمال قولًا وعملًا.

دلالةُ التَّعبير بالاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ﴾:

قد يَرِدُ الاستفهام في اللُّغة على غير بابِه، فيكون مُرادًا به النَّفي[2]، ومنه الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ومعناه: أنَّه لا أحدَ أسمى وأعظمُ قولًا من هذا الفريقِ الذي يدعو إلى توحيد المولى سبحانه، والعملِ صالحًا بمقتضى ذلك التَّوحيد، ومثلُ هذا المعنى ورد أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النّساء 125][3].

ليس أسمى قولًا ولا أعظمُ عملًا من الدَّعوة إلى التَّوحيد والعملِ الصّالح بمقتضاه

ويجوز أن يُراد بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ من المشركين الذين عارضوا دعوةَ الرَّسول ﷺ، مع ما كان يلقاه من اللَّغو والتَّكذيب في تلاوته القرآن الكريم، وفي ذلك تأكيدٌ على أنَّه لا قولَ أصدقُ ولا أرفعُ من قوله، ولا أحقُّ بالاتِّباع من دعوته إلى الله تعالى؛ إذ لا تُهْمَةَ تُنسب إليه، وهو يدعو إلى الحقِّ، ويعمل بما يقول، ويُظهر دينَ الإسلام، الذي هو دينُ أبيه إبراهيم عليه السلام[4].

التَّعجيب من معارضة المشركين لدعوة الحقِّ، وتأكيدُ صدقِ القول ورِفعته

سرُّ التَّعبير بالاستفهام دون النَّفي في ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾:

ورد الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾؛ ليحمل معنى الخبر لا السُّؤال[5]، فالغرضُ هنا ليس الاستفهام عن الأحسن، بل هو إعلانٌ جليٌّ بأنَّه لا أحد يتفوَّق في القول من بين النّاس على مَن دعا إلى الله، وعملَ صالحًا، وأعلن انتماءَه للإسلام، في تعبير عن

أفضل الأقوال وأسمى الأعمال دعوةٌ إلى الله وعملٌ صالحٌ وانتماءٌ للإسلام

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.
(2) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 76.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.
(4) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 7/ 386.
(5) الخطيب، التّفسير القرآنيُّ للقرآن: 12/ 1315.

تفضيلٍ مُطلق لهذا النَّوع من الدَّعوة؛ إذ تجمع بين النِّيَّة الصّافية والعمل الصّادق، في سعيٍ نحو إحقاقِ الحقِّ، ونَشْرِه بين النّاس.

دلالةُ توجيه الخطاب في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾:

ثناءٌ إلهيٌّ على المستقيمين، وتأكيدُ استحقاقهم، وتحذيرٌ للمشركين وقمعُهم

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ خطابٌ موجَّهٌ من الحقِّ ﷻ لِمَن استقاموا على طريقه، وهو تكميلٌ لثنائه عليهم، وتوجيهٌ يُظْهِر استحقاقَهم أسمى المعاملةِ وأشرفَها، كما يشتمل على قَمْعٍ للمشركين الذين تُخالِفُ أقوالُهم وأفعالُهم هذا التَّوجُّهَ؛ إذ يقرعُ اللهُ تعالى آذانَ المشركين، مُعلِمًا إيّاهم بأنَّ الذين قالوا أحسنَ القولِ، وعملوا أحسنَ العملِ، قد نالوا من الله تعالى أرفعَ المراتبِ، وحُقَّ لهم أن يكونوا بتلك المنزلة[1].

دلالةُ التَّعبير بالحُسن دون غيره:

أحسن الأقوال ما كان وسيلةً إلى معرفة الله وطاعتِه، وهي أحسنُ الأحوال

التَّعبير بالحُسْنِ في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ واردٌ في سياق بيانِ الفضيلة العُليا لهذا القول، الذي يتوجَّهُ إلى القلوب بالحُبِّ والتَّأثير، ويَجذبُها نحوَ الله وطاعته، وما يحمله القولُ من معانٍ عميقةٍ تنبِّهُ النّاسَ إلى آيات الله وعظيم رُبوبيَّته، وهو وسيلةٌ حيَّةٌ تُفضي إلى المعرفة بالله، وهي أحسنُ الأحوال وأرفعُها[2]؛ لأنَّها تثمر في القلب الإيمانَ والتَّقوى، وتفتح للإنسان أبوابَ الهداية والطُّمأنينة.

دلالةُ التَّعبير بأفعل التَّفضيل ﴿أَحْسَنُ﴾:

الدَّعوة إلى الله أعظمُ الأعمال، وهي واجبةٌ على المؤمنين

التَّعبير باسم التَّفضيل ﴿أَحْسَنُ﴾ يدلُّ على أنَّ الدَّعوة إلى الله هي أعلى الأعمال وأفضلُها، ممّا يقتضي أنَّها واجبة، فكلُّ ما كان أحسنَ الأعمالِ يكون واجبًا؛ لأنَّ ما هو واجب في الأصل هو أسمى من غيره، فإذا كانت الدَّعوةُ إلى الله هي أحسن الأعمال؛ فإنَّ ذلك يقتضي أن تكون واجبةً على كلِّ مسلم، فيُستَنتَج أنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 287.
(2) الطّوفيّ، الإشارات الإلهيّة، ص: 558.

الدَّعوة إلى الله ليست فقط من أسمى الأعمال، بل هي واجبةٌ وفرضٌ على المسلمين[1].

سرُّ الثَّناءِ بحُسْن القول في ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾:

المؤمنون مستَحِقّون للثَّناء على توحيدِهمُ الله وإفرادِ رُبوبيَّته ثمَّ استقامتهم

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ تنويهٌ بمدح المؤمنين الذين نطقوا بلسانهم بأسمى قولٍ وأصدقِه، وهو قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، ثمَّ استقاموا على هذا القول[2]، الَّذي يُعبِّر عن توحيد الله وإفرادِ رُبوبيَّته، فهو أسمى ما يمكن أن يَنطِقَ به الإنسانُ، ولا قولَ أرفعُ ولا أصدقُ منه، ولذلك أثنى عليهمُ اللهُ ﷻ به، فهو أحسنُ القولِ الذي لا يَعْدِلُه شيءٌ.

دلالةُ قولِه تعالى: ﴿قَوْلًا﴾، وإيثارُ تنكيره:

توسيعُ آفاق التَّعبير عن الحقِّ قولًا وخطابةً وكتابةً ونحوَها

استُعْمِل لفظُ القول دونَ الحديث مُنكَّرًا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾؛ ليفتحَ بذلك المجالَ لعموم المعنى، فيشملَ كلَّ وسيلةٍ من وسائل التَّعبير والنَّشر، سواء كان قولًا شفهيًّا أو خطابةً أو كتابة[3]؛ ليعكسَ سعةَ نطاقِ الدَّعوة إلى الله تعالى، وشموليَّتها الأساليبَ التي يمكن بها نَشْرُ الحَقِّ.

بلاغةُ ذِكْر هذه الآية بعد قول الكفّار: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾:

ثمَّة تباينٌ جوهريٌّ بين المؤمنين والمشركين

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ ثناءٌ عظيم على المؤمنين، جاء بعد ذِكْر مَذمَّة المشركين، وعقابهم على قولة السّوء منهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: 26]؛ ليبيِّن أنَّ بين الفريقين فرقًا شاسعًا، طرفاه الأحسنُ المبيَّن في قول المؤمنين، والأسوأُ المفهوم بالمقابلة من كلام المشركين، فهما في تباين تامٍّ، فلا يستوي مَن قالوا أحسنَ القولِ، وفعلوا أصلحَ العمل، مع مَن قالوا أسوأ القولِ، وفعلوا أسوأ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 563.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1316.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 24/ 162.

العمل[1]، في دلالة واضحة على الفرق الجوهريِّ بين الفريقين في القول والعمل.

تـوبـيـخٌ لـلـمـشـركـين، وتـأكـيـدٌ عـلـى عـظـمـة دعـوةِ الرَّسول وفضلِها

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ توبيخٌ بليغ للمشركين الذين كانوا يَعيبون على القرآن، ويستغربون من دعوة النَّبيِّ ﷺ، ويطعنون في رسالته، فإنَّ أرفع النّاس قولًا، وأسمى مَن يدعو إلى الله، ويعمل صالحًا، لَهو النَّبيُّ ﷺ الذي حمل أسمى دعوة، وأعظمَ رسالة للبشريَّة جمعاء[2].

دلالة التَّعبير بـ(مَنْ) في قوله: ﴿مِّمَّن﴾:

الـدّاعـون إلى الـلـه مُـتـفـرِّدون في حُسنِ القولِ والعمل

قوله: ﴿مِّمَّن﴾ مركَّبٌ، الأصل فيه حرفُ الجرِّ (مِنْ)، والاسم الموصول (مَنْ)، ثمَّ حصل فيهما إدغامٌ؛ ليتحقَّق المعنى التَّفضيليُّ الذي ينسجم مع السّياق، فـ(مَنْ) تحمل دلالةَ التَّفضيل للاسم ﴿أَحْسَنُ﴾[3]؛ ليُظهرَ أنَّ مَن يدعو إلى الله تعالى مُتفرِّدٌ لا يُقارن بغيره من البشر في حُسْن القول والعمل.

لا أحـدَ أحسنُ مـمَّـن قـام بـالـدَّعـوة إلى المولى سبحانه

الاسم الموصول في اللُّغة على نوعين: **الأوَّل:** نصَّ على الموصول كـ(الذي) و(التي)، **والثّاني:** نوع مشترك يشير إلى العموم، ويشمل كلَّ شيء[4]، فضلًا عن خروجه عن الموصوليَّة إلى الاستفهام والشَّرط وغيره، مثل: (مَنْ) و(ما)، وفي قوله تعالى: ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وردت (مَنْ) على هذا النَّحو المشترَك؛ لتشملَ كلَّ مَن تحقَّق له مضمونُ هذه الصِّلة[5]، وهي الدَّعوة إلى الله تعالى، أي: لا أحدَ أحسنُ ممَّن قام بالدَّعوة إلى الله تعالى؛ لتكونَ الدَّعوةُ هي المعيار الذي يُحدِّد الموصوفَ بهذه الصِّفة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 287.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 360.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 287.
(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 228.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.

فائدة توحيد الضَّمير في فعل الدَّعوة:

الدُّعاة إلى الله والمصلحون نادرون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ

في قوله تعالى: ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أوردَ الضَّميرُ في فعل الدَّعوة مُفردًا؛ إشارةً إلى قلَّة هذا الصِّنف من النّاس في كلِّ زمان ومكان[1]، وهم الدُّعاةُ والمصلحون الذين يتفرَّدون في دعوتهم إلى المولى سبحانه، فإنَّهم يقومون بعمل عظيم في نشر الحَقِّ والهداية، ممّا يعكس عَظَمَة مهمَّتِهم، ونُدْرتَها في مواجهة التَّحديّات.

دلالة التَّعبير بالدَّعوة في ﴿مِّمَّن دَعَآ﴾:

الدَّعوةُ إلى توحيد الله، وإعلانِ الإيمانِ وتجسيدِ رسالة محمَّد ﷺ

في قوله تعالى: ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يتجلّى معنى الدُّعاء في كونه أمرًا موجَّهًا إلى غيرك بالإقبال على شيءٍ مُعيَّن، والدَّعوة إلى الله تمثيلٌ لحالة الآمر الذي يوجِّهُ النّاسَ إلى توحيد الله سبحانه وتركِ الشِّرك، كما يفعل مَن يدعو أحدًا للإقبال على شخصٍ أو أمرٍ ما، هذه الدَّعوة تُمثِّل حالَ المؤمنين حين أعلنوا توحيدَه تعالى، فالدَّعوة إلى التَّوحيد كانت أساسًا لرسالة المؤمنين الذين كانوا يَدعون المشركين إلى الإيمان بالله، وسيّد الدّاعين هو النَّبيُّ محمَّد ﷺ، الذي حمل رسالةَ التَّوحيد، ودعا إليها بكلِّ إخلاص[2].

التَّوجُّه الخالص إلى الله تعالى، والنَّجاةُ من مواقف الضَّلال

ومن معاني الدَّعوة إلى الله هنا هو التَّوجُّهُ الخالص إلى المولى سبحانه، بأن يدعوَ الإنسانُ نفسَه إلى ربِّه، ويسعى بها إلى الخلاص من مواقف الضَّلال، وأجواءِ الجهل، وهذا المعنى يتجلّى بوضوح في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [الصّافات: 99][3]، في تعبير صادر عن عزمٍ راسخ على السَّير في طريق الحقِّ، مع خلوصِ النِّيَّة، وطلبِ الهداية.

دلَّ قولُه سبحانه: ﴿دَعَآ﴾ على تشبيه المَعنيِّ بهداية النّاس

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 186.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1316.

في التّعبير بالدّعوة الرّفقُ بالمَدعوين، وإرادةُ إكرامِهم وتأليفِ قلوبهم

بالدّاعي إلى مأدُبة، فهو يَرفُقُ، ويتلطَّفُ حرصًا منه ليُجابَ، وهو يدعو النّاسَ لإكرامهم، لا استشرافًا إلى نيل دُنيا منهم، وهكذا نجدُ كلَّ آدابِ الدَّعوةِ قد مَثُلَت في هذا اللَّفظ المنتقى العجيب.

سرُّ التّعبير بالماضي دونَ المضارع ﴿دَعَآ﴾:

التّعبيرُ بالماضي دون المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحمل دلالةَ ثباتِ الدَّعوة إلى المولى سبحانه ورسوخِها؛ إذ إنَّ الماضي يُشير إلى تحقُّق الفعل من غير شكٍّ، بخلاف المضارع الذي قد يوحي بالحدوث المؤقَّت أو الانقطاع، فدعوةُ الخَلْقِ إلى الدّين الحقِّ لا تنتهي، ولا تتوقَّف حتّى قيامِ السّاعة.

دعوةُ الخلق إلى الدّين الحقِّ أمرٌ ثابت متحقّق لا ينقطع حتّى قيام السّاعة

دلالة حذف متعلّق ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ محذوفًا من المضاف، تقديره: (من قول مَن دعا إلى الله)[1]، وهو مستعملٌ لتحقيق الإيجاز والتّنويع في التّعبير، فالسّياقُ يُبيِّن المعنى المقصودَ دونَ الحاجة إلى تكرار المضاف، فالمعنى هو التّفضيل بين القول الصّادر عن الدّاعي إلى الله والقولِ الآخر، غيرَ أنَّ الحذف هنا يُبرز جمالَ الاستغناء عن التّكرار، ويُعطي النّصَّ قوّةً وتركيزًا.

تحقيق الإيجاز في التّفضيل بين القول الصّادر عن الدّاعي إلى الله والقول الآخر

دلالةُ تعدية الفعل ﴿دَعَآ﴾ بـ﴿إِلَى﴾:

لمّا كانت ﴿إِلَى﴾ تفيد انتهاءَ الغاية، وكان الدُّعاة إلى الله لا يرجون من أحد جزاءً ولا شُكورًا، وكان تطلُّعُهم في أجرهم وثوابهم إلى الله تعالى وحْدَه يوم لقائه جلَّ وعزَّ؛ جاءت ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ هنا؛ لتدلَّ على أنَّهم محتسبون في دعوتهم؛ إذ يرجون هدايةَ النّاس دونَ تطلُّعٍ إلى شيء ممّا في أيديهم.

الدُّعاة إلى الله مُحتسبون يَرجون مثوبةَ الله وحْدَه

سرُّ التّعبير بـ﴿إِلَى﴾ دونَ اللّام:

استُعمل حرفُ الجرِّ ﴿إِلَى﴾ دونَ اللّام؛ لأنَّ الحرف المستعمَل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.

هنا يدلُّ في لغة العرب على انتهاء الغاية[1]، والدَّلالة على الوجهة أو المقصد نحو غايةٍ معيَّنة، أي: إنَّ الدَّعوة ليست مُجرَّدَ دعوةٍ إلى موضوعٍ عامٍّ، بل هي دعوةٌ موجَّهة نحو الله تعالى، وهي دعوةٌ حيَّة نحو الانتقالِ الرّوحيِّ من الضَّلال إلى الهداية، وهي دعوةٌ مستمرَّةٌ ومتجدِّدة، وليست جامدةً أو محدودة.

دعـوةٌ غايتُها الحقُّ سبحانه، في انتقال روحيٍّ من الضَّلال إلى الهداية

دلالةُ التَّعبير باسم الجلالة:

آثَر السّياقُ الكريم استعمالَ الاسمِ الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ إشارةً إلى أنَّه سبحانه هو الذي شَمِلَ بكمالاته جميعَ الخَلْق، وهو الذي استحقَّ أن يُدعَى إليه بكلِّ صفاته، فَبِذِكْر هذا الاسم تُستَدعَى القلوبُ جميعًا متوجِّهةً إليه[2]، فهو المُستجمع لصفات الكمال التي لا تقتصر على صفة أو خصلة معيَّنة، بل تشمل كلَّ ما يليق بجلاله وعَظَمته، فيُستجلَبُ بهذا الاسم الكريم كلُّ مَن يعرفه، ويُحبُّه.

الله يستدعي القلوبَ بصفات كمالِه الشّاملة التي تَعَرَّف بها إلى خَلْقه

وذَكَر اسمَ الجلالةِ بقوله تعالى: ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ ليُبيّنَ أنَّه سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصَّمد، الذي لا شريكَ له في أُلوهيَّته ولا في ربوبيَّته، المتفرِّدُ بالكمال في ذاته وصفاته، والمستقلُّ عن كلِّ شيء[3]، الذي لا تكتمل الموجودات إلّا به، ولا يثبت الاستمرارُ إلّا بقدرته.

الله هو المُتفرِّد بالوجود والدَّيمومِيَّة

دلالة الواو في قوله: ﴿وَعَمِلَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ دالَّةٌ على الحال والاقتران، أي: "والحالُ أنَّه قد عمل صالحًا"[4]، فلم يقتصر على القول، بل كان عملُه مُطابقًا لتلك الأقوال، أي: إنَّه قد جمع بين الإيمان القلبيِّ،

المؤمنُ يدعو إلى الله تعالى بلسانه حالَ كونِه قد عمل صالحًا

(1) السكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 380.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 186.
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 278.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 186.

والعمل الصّالح في الواقع، فالإيمانُ الصَّحيح يقتضي العملَ الصّالح، والعملُ الصّالح لا يصدر إلّا من إيمان صادق.

التَّرابطُ الوثيق بين القول والعمل

ويجوز أن تكون الواو واردةً على معنى العطف[1]، عطفت جملةَ العملِ الصّالح على جملة الدَّعوة إلى الله تعالى؛ بيانًا للتَّرابط الوثيق بين القول والعمل في الإسلام، فالدَّعوة إلى الله ليست محض كلماتٍ تُقال، بل هي دعوةٌ تقتضي أن يكون القول متَّسقًا مع الفعل، وأنَّ الدَّعوة إلى الله تتطلَّب استقامةَ الأفعال لتكملتها وتحقيقها.

دلالةُ التَّعبير بالماضي في ﴿وَعَمِلَ﴾:

دعوةٌ عمليَّة تتكامل مع الفعل؛ لتقريب القلوب إلى الله

ذِكْرُ العملِ في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بصيغة الماضي؛ لتحقُّقِ وقوعه وظهوره مرئيًّا للمَدْعوّين، وهو يُشير إلى أنَّ الدّاعيَ إلى الله تعالى ينبغي أن يكون قدوةً عمليَّة في دعوته، فيُظهر صِدقَ دعوتِه، ويجعل النّاسَ أقربَ إلى قبولها، وأشدَّ استعدادًا للاستجابة لها[2]، وبذلك يتكامل القولُ مع الفعل، ويصبح العملُ الصّالحُ شاهدًا على صِدق الدَّعوة، وقوَّتِها وتأثيرها.

سرُّ الوصف للعمل بالصَّلاح: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾:

العمل الصّالح توازنٌ بين الدُّنيا والآخرة، وتحقيقٌ لصلاح العبد في دينه ودنياه

وصفُ العملِ بالصَّلاح في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ لأنَّه يُحقِّق صلاح العبد في دينه ودنياه، فيكون خاليًا من كلِّ فساد، ويجري وفقَ ما أمر به الدّين، فصلاحُه في الدُّنيا لا يقلُّ عن صلاحه في الدّين، ويكتمل عندما يسير العبد على هدى الله تعالى، ويستقيم على الطَّريق الموصِل إليه سبحانه، كما جاء في وصف المؤمنين الذين قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾[3]؛ إذ يُجسِّدون بذلك العملَ الصّالح الذي يتناغم مع الحقِّ الإلهيِّ، ويُحقِّق التَّوازنَ بين الدُّنيا والآخرة.

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 8/ 451.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 374.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.

دلالةُ التَّنكير في قوله: ﴿صَٰلِحًا﴾:

من المُقرَّر عند اللُّغويّين أنَّ النَّكرة تدلُّ على العموم والشُّيوع[1]؛ ولذا جاء وصف العمل بالصّالح نكرةً على سبيل التَّعميم والتَّوسيع، فالنَّكرة هنا تُشير إلى أيِّ عمل صالحٍ، كبيرًا أو صغيرًا، ظاهرًا أو باطنًا؛ لأنَّها تشمل جميعَ الأعمال التي تُطابق شرعَ الله، وتؤدّي إلى مرضاته؛ فكلُّ عملٍ صالح في طاعة الله يُعدُّ مُكمِّلًا ومُؤَكِّدًا للدَّعوة دونَ تقييد أو تحديد.

رحمةُ الله تعالى تتَّسِعُ لقَبول كلِّ عمل صالح مهما كان نوعُه أو حَجْمُه

دلالةُ تقديم القول على العمل في الآية الكريمة:

في تقديم الدَّعوة إلى الله على العمل الصّالح في قوله تعالى: ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، إشارةٌ عميقة إلى أنَّ الدَّعوة الحقيقيَّة إلى الله التي هي جوهر الإيمان، لا تُثْمِر ثمارَها الطَّيّبةَ إلّا إذا كانت مقرونةً بالعمل الصّالح[2]، فالدَّعوةُ إلى الله ليست محضَ كلماتٍ تُقال، بل هي فعلٌ مستمرٌّ يتطلَّب التزامًا عمليًّا.

الدَّعوةُ جوهرُ الإيمانِ، لا تكتمل إلّا بالعمل الصّالح

سرُّ عدم وصفِ القولِ بالصَّلاح، كما وصف العمل:

عدمُ وصفِ القول بالصَّلاح كما وُصِف العمل، يَكْمُن في أنَّ الدَّعوةَ إلى الحقِّ سبحانه لا تحتاج إلى قيد من حيثُ صلاحُ القولِ، بل يكفي أن يكون القولُ صادقًا؛ لأنَّه يدعو إلى التَّوحيد والإيمان، أمّا العملُ الصّالح؛ فيتطلَّب موافقةً للشَّرع وأحكامه؛ لأنَّه يتجسَّد في الفعل الذي يترجِم الدَّعوةَ إلى واقعٍ عمليٍّ؛ كي يُؤتيَ ثمراتِه في الدُّنيا والآخرة.

القولُ في الدَّعوة يحتاج إلى الصِّدق والوضوح، والعملُ يُشترَط فيه الصَّلاح

بلاغةُ الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾:

﴿صَٰلِحًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ نعتٌ لمصدر محذوف، أي: عملَ عملًا صالحًا[3]، وسرُّ الحذف هنا؛ ليكون عملًا في ذاته،

فتْحُ آفاق المعنى وتوسيعُ دائرتِه في شمولِيَّة العمل الصّالح

(1) الفارسيّ، الإيضاح العضديّ، ص: 275.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1316.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 374.

شاملًا جميعَ أنواعِ الأعمال الصّالحة، سواء كانت في النّيَّة أم في القول أم في الفعل، وسواء كانت سرًّا أم علنًا؛ فحُذِفَ الموصوفُ هنا دَرءًا لتقييد العمل الصّالح بجانبٍ محدَّد، ولغنى المعنى بذِكر ﴿دَعَآ﴾ الذي يفتح المجالَ لفهمٍ شامل للعمل الصّالح من جميع جوانبه، دونَ حصرِه في الأفعال الظّاهرة فقط[1].

دلالةُ الجمع بين القول والعمل في الآية:

لا أوضحَ طريقةً ولا أكثرَ ثوابًا من التّكامل بين الدّعوة والعمل الصّالح

الجمعُ بين القول والعمل الصّالح يعكس التّكاملَ بين العقيدة والسُّلوك في الإسلام، فالمسلمُ الحقُّ مَن يُجَسِّد إيمانَه في عمله، ويكون قولُه مطبَّقًا في أفعاله، فكلُّ مَن جمع بين دعوة العباد إلى ما شرَّعه اللّه، وبين العمل الصّالح في تأدية ما فرضَه اللّهُ عليه، مع اجتناب ما حرَّمه عليه، وكان من المسلمين في دينه، لا من غيرهم، فإنَّه لا شيءَ أسمى ولا أرفعُ من ذلك، ولا أظهرُ طريقةً، ولا أكثرُ ثوابًا[2]، فقد حقَّق بذلك أسمى درجاتِ الإيمان والإحسان، وجمع بين القول والعمل في أكمل صورةٍ، مستحِقًّا بذلك أعلى مراتبِ الفضل، والجزاءِ الأوفى من الثَّواب، وإذا تلاقى الإيمانُ باللّه والعمل الصّالح، فقد تلاحمت أركانُ الخير في قلب المؤمن، وتمسَّك بالعروة الوثقى الَّتي لا انفصام لها[3].

دلالةُ التَّعبير بالواو في ﴿وَقَالَ﴾:

إعلانُ الثَّبات والإيمان، وتأكيدُ الالتزام بتوحيد الله تعالى

الجملة من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ معطوفة على ما سبقتها[4] من جملة: ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّـهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ لتكون تأكيدًا على التزامه بالإيمان وتوحيدِ الحقِّ سبحانه، وتوضيحًا لموقفه الثّابت أمامَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 186.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 591.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1316.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 8/ 452.

كلِّ المخالفين والمُؤيِّدين[1]، وهي تعبيرٌ عن اعتزازه بدينه، ورفضِه لأيِّ محاولةٍ للمساومة أو التَّحريف في معتقداته، ولتقطع الطَّريقَ أمامَ كلِّ مَن يحاول التَّشكيكَ في إيمانه، أو إفسادَ دعوته.

دلالة التَّأكيد بـ(إنّ) في قوله: ﴿إِنَّنِي﴾:

يقينٌ وثباتٌ في الإيمان، وابتهاجٌ عميقٌ واعتزاز فائق بهذا الانتماء

أكَّد النَّظمُ الكريم جملةَ الانتماء إلى الإسلام بحرف التَّوكيد (إنَّ) بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ لتعميق يقين القائل، وثباتِه في إيمانه، وإظهارِ ابتهاجه العميق، واعتزازه الفائق بهذا الانتماء العظيم[2]، فهو ليس محض تأكيد لفظيٍّ، بل هو تعبير عن قوَّة الإيمان، وصدقِ الاعتراف بالهويَّة الإسلاميَّة، ويعكس افتخارًا صادقًا، وتفانيًا في التَّمسُّك بالدّين.

دلالةُ التَّعبير بالاسميَّة ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

إثباتُ رسوخِ المؤمن في الإسلام واعتزازِه به

لَمّا أقرَّ بالقول بعد الدَّعوة إلى الله تعالى والعملِ الصّالح، أوردَ صفةَ الإسلام بالصّيغة الاسميَّة بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ ليشيرَ بذلك إلى رسوخ إيمانِه، وثباتِه في هذه الصِّفة العظيمة[3]، مؤكِّدًا على استمراريَّته في التَّمسُّك بالإسلام، ركيزةً ثابتةً لا تتزعزع، ومُعَبِرًّا عن إيمانه الرّاسخ الذي لا يتأثَّر بالتَّقلُّبات أو الشُّكوك.

دلالة التَّعبير بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

إنَّني لِمَن الذين لهم القَدَحُ المُعلّى في التَّسليم والتَّفويض

أفاد قولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ دون (مسلم) شمولًا للمعنى وامتدادًا له، فلا يقتصر على القول المجرَّد، بل يتجاوز ذلك ليكون بمنزلة التَّذييل الذي يوضِّح الانتماءَ الكامل، كقولك: (زيد من العلماء)؛ للإشارة إلى مكانته المرموقة في العلم، فكأنَّما أراد أن يقول: إنّي من أولئك الذين هم في قمَّة التَّسليم والتَّفويض لله ﷻ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 187.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 24/ 162.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 187.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 607.

إنَّ ثمرة الإيمان باللّه والعمل الصّالح في التَّفاعل الحيِّ مع المجتمع والنُّموِّ المشترك في الخير لا تقتصر على الإنسان وحدَه، بل تتجلّى آثارُها في المجتمع الإنسانيِّ؛ إذ يُثْمِر هذا الإيمانُ في العطاء والأخذ بين النّاس، فالإيمانُ والعملُ الصّالح إذا اعتزل بهما الإنسانُ عن مجتمعه، واحتفظَ بهما في نفسه، دونَ أن يشاركَ الآخرين في ثمار هذا الخير، يصبح كما لو أنَّه احتفظ بهما في مكان مغلق، لا ينمو، ولا يزدهر[1]، فتعبيرُه ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قائمٌ على الشُّعور بالانتماء لهذه المجموعةِ والتَّفاعل معها، وعدمِ الانعزال عنها، ومشاركتِها أفراحَها وأتراحَها.

بلاغةُ ختام الآية بقوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

ثناءٌ على المسلمين في اعتزازهم بالإسلام وافتخارِهم به أمامَ المشركين

قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يُعَدُّ ثناءً على المؤمنين الذين اعتزّوا بدينهم، وجعلوا من الإسلام فخرًا لهم، فلم يتوارَوا، أو يتخَفَّوا، أو يتَستَّروا به[2]، بل أعلنوا عن إيمانهم بكلِّ شجاعة أمامَ المشركين، مُظهرين عِزَّةَ الانتماء إلى هذا الدّين العظيم، في تعبير عن اعتزازهم وإصرارهم على الثَّبات على مبدأ الإسلام في مواجهة الشِّرك.

دلالةُ ذِكْر الاعتزاز بالدّين من بين الأعمال الصّالحةِ:

الاعتزازُ بالدّين وإظهارُ عِزَّة الإسلام في وجه الكافرين وإغاظتِهم

إن كانت الأعمالُ الصّالحة كثيرةً ومتنوِّعة، إلّا أنَّ الاعتزاز بالدّين جاء هنا مذكورًا على وجه التَّخصيص في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ لأنَّ المقصود منه إغاظةُ الكافرين، وإظهارُ عِزَّةِ الإسلام والمسلمين[3]، كما كان الحالُ في يوم أُحُدٍ عندما جاء أبو سفيان – وكان يومَئذٍ على الشِّرك – فقال: اعْلُ هُبَل،

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1316.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 288، 289.

فقال رسولُ الله ﷺ : «قولوا: اللّهُ أعْلى وأجَلُّ»، فقالوا: اللّهُ أعلى وأجلُّ، فقال أبو سفيان: لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللّهُ مولانا، والكافرون لا مولى لهم»[1]؛ ليُظهِرَ المسلمون عِزَّةَ دينِهم، وظهوره على كلِّ ما سواه، ويُثبتوا ولاءَهم للّه تعالى دون أدنى تردُّدٍ أو تراجع.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الحُسْن والجَمال:

الدَّعوة بالقول من الجمال الظّاهريِّ إلى الحُسْن الباطنيِّ

الجمال هو ما يشتهر، ويرتفع به الإنسانُ من الأفعال والأخلاق، ومن كثرة المال والجسم، وليس هو من الحُسن في شيء، ألا ترى أنَّه يُقال لك: في هذا الأمر جَمالٌ، ولا يُقال لك: فيه حُسْن[2]، فالجَمال متعلِّق بالأفعال وكثرة المال ونحوه، والحُسْن متعلِّق بالصِّفات، فإنَّ الحُسْن يرتبط بالصِّفات الحميدة، والأفعال القويمة.

القول والحديثُ:

القول والحديث مترادفان، يستعمل أحدُهما بموضع الآخر

يُلْحَظ في الحديث أنَّه مُنتهًى إليه مُحَدَّثٌ به، ولا يلزم مثلُ ذلك في القول، فلذا جاء: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: 8]، وكما في الآية التي معنا هنا: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، فليس فيها قوله ذلك لأحد، ولا هو بلازم، فيمكن أن يقوله لنفسه؛ تجديدًا لعهده، واستحثاثًا لهمَّته، أو ذِكْرًا لنعمة الله عليه ونحوه، والحديثُ يُؤدّى بالتَّحدُّث خاصَّة، والقول يؤدَّى به وبغيره، كالإشارة المُفْهمة التي فعلتها الصِّدّيقةُ مريمُ البتول أُمُّ عيسى على نبيِّنا وعليهما السلام، فقد جاء في التَّنزيل العزيز أنَّه قيل لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ۝٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ

(1) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (4414).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 165، 166.

قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم 26 - 29]، فأُدّيَ القولُ هنا بالإشارة المُفهمة، ويُؤدّى كذلك بغير ما وسيلة، كالكُتُب والرَّسائل ونحوِها.

العمل والفعل:

العمل: هو إيجاد الأثر في الشَّيء، ويأتي بمعنى الإحداث[1]، وذلك أخصُّ من الفعل من جهة أهله، وأعمُّ منه من جهة نفسه؛ لأنَّ الفعل قد يشمل أفعالَ الحيوان التي لا تدلُّ على قصدٍ أو إرادةٍ[2]، فالعملُ إذًا يحمل دلالةً على فعل مقصود ومدروس، وهو ما يتَّفق مع معنى الإيمان العميق، والأعمالِ الصّالحة التي يطلبها اللّهُ تعالى من عباده.

الفعل يكون بقصد أو من غير قصد، والعمل الصّالح وعيٌ مقصودٌ، وإرادةٌ مدروسة

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 135.
(2) الرّاغب، المُفردات: (عمل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"